الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 113

منزلة البقاء

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الامين وعلى اله ومن اهتدى بهديه واستن بسنته واستقام على شرعه الى يوم الجمع والدين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومع كتاب مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، وهي منازل للترقي، وللسمو في عالم يضج بالماديات، وفيه اخذ للنفس نحو المراقي، ومحور مدارج السالكين هو اياك نعبد واياك نستعين، وذلك واضح وبين من خلال منازل السير الى الله، فكما ان المسافر يسافر في دنياه يتنقل بين المدن والبلدان، كذلك يتنقل طريق سيره الى الله جل وعلا بين المقامات، بدأنا منازل السائرين وبدأنا مدارج السالكين بمنزلة اليقظة، مرورا بالتوبة والمحاسبة، واخر ما وقفنا عليه من المنازل كان حديثنا عن منزلة الفناء، السير في الدنيا في الطاعات والمقامات ترقي، فان لم تكن في كل يوم من اليوم الذي قبله فانت تسير خطأ، لذلك مر علينا هنا في مدارج السالكين من القواعد والدرر ولا نحس خرج منك لم تزدد به من الله قربا فانت في خسارة، السير الى الله بالانفاس، وليس بالساعات والاعوام، نحن تمر علينا الاعوام الطويلة، يمر علينا العام العام والسنة وراء سنة ولا نحس بان فينا تغيرا بل تمر علينا المحطات واولها واعظمها الصلاة فلا تغيروا فينا اصلي ونعاود الحياة ونرجع ولا نحس ان حياتنا في استقامة ولا في ترقي.

وهذه محطة قريبة متقاربة تأتي محطة ابعد وهي محطة الجمعة فيها التزود والتزين والتجمل، وتأتي محطة العيد فيها التكبير، وكما قال بعض المفكرين لو ان قلوب المسلمين كبرت كما تكبر السنتهم بالعيد، ولو انهم بواطنهم في العيد كما طهروا ظواهرهم بافخر وافخم الثياب لو انهم فعلوا ذلك قلبا وقالبا لغيروا الدنيا والتاريخ، تمر علينا المحطات الحج محطة لتغيير المسار، يقول العلماء يبدأ الطواف باليسار لتغيير المسار، انت لما تطوف تجعل الكعبة على يسارك وتبدأ الطواف بالبيت طائفا، لتغير مسار لان هذا خلاف الروتين، الروتين ان ترقد على الفرش والاسرة، وخلاف الروتين ان ترقد على صحراء مزدلفة، الروتين ان تلبس الثياب، المخيط والمحيط، وخلاف الروتين، ان تلبس الاكفان، الروتين ان تجلس وان تتنعم، وان تبعد من الزحام، هذا هو الروتين الذي تريده، وكسر الروتين ان تزاحم، ترمي الجمرات، لترمي عدوك، ولترمي الشرور من نفسك وهكذا، ابن القيم في مدارج السالكين ينقلنا في سياحة ايمانية عظيمة هو كتاب جديد للمطالعة وجدير بالقراءة وجدير بالوقوف عنده، ولذلك وقفنا في كتاب مدارج السالكين بحول من الله وتوفيقه، انتهينا من المجلد الاول، لمدارج السالكين، وانتهينا من المجلد الثاني.

من مدارج السالكين، ها نحن اليوم نقف في الصفحة الرابعة والثمانين بعد الثلاثمائة في المجلد الثالث والاخير، من كتاب مدارج السالكين، والمنزلة هي منزلة البقاء، والبقاء بعد الفناء، والبق اثبت من الفناء استدل الهروي رحمه الله تعالى على البقاء بقوله جل وعلا والاية واضحة في استدلال الهروي بها ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ولكن البقاء المراد في منزلة مدارج السالكين، بقاء العبد في مقام الايمان، والاية تتحدث عن بقاء الله سبحانه وتعالى وعن دوامه، فهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير، لكن البقاء منزلة للعبد والفناء منزلة للعبد، وقبلها منازل البرق والوجد والمكاشفة، الشكر مرت علينا هذه المنازل من منازل اياك نعبد واياك نستعين التي اعدها الهروي، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ البقاء صفة الله، من اين يأتي بقاء العبد؟ وهذا هو المحق، بقاء العبد من بقاء ربه ومولاه، فما كان بالله متصل وما كان بغيره منفصل، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ وكأن ابن القيم يريد ان مفسرا كلام الهروي بان كل شيء يرتبط بالباقي يبقى، وكل شيء يتعلق بالدائن يدوم، ولكن لا يدوم انسان.

بل لا يدوم مخلوق، خلقه الله لا يدوم، سنة الله جل وعلا، هذه سنته، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ الله يغير، ولا يتغير، يبقى ويدوم، وغيره لا يدوم، فمن اين يأتي دوام العبد وبقائه؟ العبد قد يفنى ذاتا، ولكن قد يبقى ذكرا، العبد قد يفنى ذاتا، نعم، لكن في اشياء بتبقى، ما الذي يبقى؟ يبقى من الانسان ما كان مرتبطا بالباقي اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث، اليس هذا نوع دوام؟ اذا مات

ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث، هو ميت، ولكن العلم باقي مات ابن القيم قبل سنين ابن القيم تقريبا يعني توفي سنة سبعمية وشوية سبعمية كم وسبعين لكن الناس يدرسون كلامهم مات عمر بن الخطاب والمنابر تستدل به مات الامام مالك والناس يدرسون مذهبه الى يوم الدين، اليس هذا نوع بقاء وديمومة؟ ولماذا كان هذا الدوام؟ لانه قال صدقة جارية، وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له، فبالتالي ما كان متصلا بالله يبقى، وان كان ابن القيم رحمه الله يقول بان البقاء على نوعين مقيد ومطلق، اما المقيد فالدوام والبقاء الى مدة.

هذا ممكن يحصل للناس، يتفاوت فيه الناس، واحد يعيش مئة سنة، واحد يموت عمره عشرين سنة، يتفاوت الناس، بتعلمية السنة بقية بالحسابات البشرية المجردة المادية بقي اكثر لكن قد تكون معناها مئة سنة ما عندها قيمة عند الله لانه عبث في ناس عايشين مئة سنة انت عارف الخواجات والكفار اخر حاجة وصلوا لها باله شنو؟ قالوا دايرين نحارب الموت وده جهل، الموت الموت بتحاربه، عشان ده خلقه والله، الموت مخلوق ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الموت خلقه الله، والموت الذي لا يراه الناس وهو عرض عرض يعني حاجة ما امسك لي الموت في يدك، مخلوق موجود هاي لكن امسكه لي في يدك، لكنه يوم القيامة يكون جوهرا، يجيبوه في صورة محسوسة في صورة خروف، يعرضه على الناس، يا تعرفوا ده؟ تقولوا بالحلم، كلنا دقناه، لانه ما في زول، حتى الانبياء ماتوا، يا ناس النار ده بتعرفوا؟

يقول لهم بالحلم، ما متنا قبل كده، يدبحوه بين الجنة والنار يقال لاهل الجنة خلود فلا موت، ويقال لاهل النار خلود ولا موت، فيزداد اهل الجنة فرحا واهل النار غما، الموت تجيبوه من بحر في صورة كبس املح، الاملح ده البين الابيض والاحمر، ده اسمه شنو؟ الكبش شنو؟ الاملح، في صورة كبش املح، بتجيبه؟ كويس؟ ويذبحه؟ ما هي قيمة الحياة؟ اخوانا الدين يحتاج الى تأملات، ومن اكثر الاشياء التي استفدتها في مدارج السالكين التأملات، اشوف الحياة دي لابد يكون في موت، الخواجات ما عندهم موضوع، قالوا نحارب الموت، ما قالوا الزول بيخنق او يخلد في الدنيا لمن يعمل كدا لكن قال ليه؟ تخلي الهم بعد الهم تبعد تبعد من الدهون تبعد من شنو؟ تاكل خضروات تجيب على الفواكه قال لك ممكن تعيش مئة وعشرين سنة ده حدهم ما تزيدوها شوي يا اخواننا كده يا اخواننا قولوا خير زيدوها علينا شوية حدهم بعد بعد الهم والبحوث الثقيلة قال لك ممكن تعيش مئة وعشرين سنة بس بس اقول مئتين سنة برضو تمشوا النار بطريقتكم دي وكفار ومجرمين قولي عشت ميتين سنة شنو يعني؟

قول عشت الف سنة اخوانا الحياة قيم ده اختصاري للحياة الحياة قيم ومبادئ دي الحياة الحياة ان تحيا بالوحي، الوحي الرباني، يسيرك ربنا زي ما هو داير، وانت عبد مستسلم، ربنا قال لابراهيم عليه السلام امر، تذبح ولدك، ابراهيم عليه السلام ما قال لي، وفي شنو يا اخوانا؟ وانا ما عندي غيره، وما في دين ذاته بقول لك قبح الناس، دين وانت قايل اعتراضات العلمانيين على اوامر الله شغل زي ده، يقول له اذبح اذبح ولدك، ما قال لي اسمع يا الله وقع علي في رصيده، كده الولد الصغير ده ذنبه شنو؟ وانا اقبح لي، اقنعني، ما است يوم وليلة، طب ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ يقول لك اغنعني، يا اخي الكريم تقول له يا اخي نعكسها، كلام الله قاطع، بدون تردد، قعدوا يطبخوا، ده امر، الولد عاقل، قال له ابكيني على وشك عشان ما تخن علي، لمن تذبحني عينك في عيني؟

امكن تحن؟ قال لي اقلبني، قلبه، ما فيه زر، ولحد اللحظة ديك لا يعلم الغيب الا الله، يعني ما كان لو قال بيجو تبدأ تمثيلية ما تمثيلية ده شغل جد قال ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ قال ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ربنا قال ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ رددوا، وتله للجبين، ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ربنا قال ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ الله قال بلى، بلى كبير، ابتلاء عظيم يعني، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ده امر الله لابراهيم بذبح الولد صح؟ صح؟ امرت اولادك يصلوا؟ بس، امرت اولادك يصلوا؟ ما قال لك يذبحون، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ امرتم؟ يصلوا؟ تجد صلاة الصبح وتخلون وراك؟ امرتوا؟ امرت اولادك يصلوا؟ امرت بنتك تتحجب؟ الله قال لابراهيم اذبح ولدك دار يذبحه الله قال للنسوان تحجبن ماذا تحجب الرجل شنو؟

يا اخي اجل من الاوامر ربنا ادانا ابراهيم الناس ما تدري عليها، امشوا الحفلات، في اخر زينة، في حضور الاب، وبكامل رضاه، لا نملك الا ان نقول انه ديوث، راجل ما صالة خاصة، الصلاة الخاصة خليها، دا في شيء كويس، صالة عامة رجال ونصوان كلهم قاعدين يرقصوا في محلة واحدة، انت كان قلت غلط الله قال بيقول لك كان قلت ده غلط الله قال بيقولك انت ده خليهم عشان كده ربنا قال ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ والله يوفى ودار يذبحه الله ما قال لك اذبحه لان النعمة ذات بتاع الفلسفة لو قال لك ادبح بتقول في شنو يا اخوان؟ نظب حجرياتنا؟ والله نعمل مظاهرات ونقول يا اخوانا نغير الموضوع دا ونرفع عريضة، يا اخي الله ما قال لك اذبح جنان، قال لك الزموا الشريعة، وقال للمرض حق ابي والناس ما قادر يستقيم انا والله ما تعرف الحصى شنو في حياة الناس فبالتالي شوف منزلة البقاء ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ده كل الدين اي شيء بيرتبط بالله

يمشي لقدام اي حاجة عنده علاقة بامر الطبقة ليس بقاء الذوات انما بقاء الاثر الانبياء ذهبت ذواتهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ولكن بقيت اثارهم بقيت اثارهم ابراهيم عليه السلام قال لله سبحانه ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ القرآن ده كله ابراهيم.

وسورة اسمها ابراهيم وابراهيم عمل، وانتم متبعين ملة ابراهيم، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾ وتجد في كل صلاة، كم لسان؟ عجمي، وعربي فصيح يقولون اللهم صلي على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم يوميا كم مرة؟ وكم زول ده اسمه ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ اي حاجة مرتبطة بالله بتبقى اي حاجة ما مرتبطة بالله حتى ولو انتفشت زمنا واخذت حيزا لابد انها ستنت في يوم من الايام وسينتهي ذكرها، ولو ذكرت لن تذكر على سبيل التمجيد، انما على سبيل الذم والتوبيخ، كذمك ابليس، وكذمك فرعون وكذمك قارون، وكذمك هامان، وكذمك المجرمين في كل امة، يا سلام، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ الامام مالك رحمه الله مالك بن انس كتب الموطأ موطأ الامام ما لك الموطأ سماه موطأ ليه؟ لانه وطأه للناس توطئة مهده للناس تمهيدا يقول لك وطئت الثرى وطئ وطئ الشيء، الموطأ معناها الممهد، ففي ناس حاكوه اتكتبت اكتر من ميتين موطأ، حاكو يعني اي زول كتب موطأ قالوا طالما مالك ده كتب اليوم مالك عاش تقريبا سنة مية كم وسبعين مية كم وسبعين كتب الموطأ ده اسمه موطأ الامام ما لك ابن انس الاصبحي قالوا له يا امام الناس كتبوا موطئات عارف قالوا شنو؟

قال لهم ما كان لله يبقى، الموطأ اللي اتكتب لوجه الله بيبقى يا سلام يا اخي ما كان لله يبقى اتعرفون موطأ غير موطأ ما لك؟ ها؟ في ناس الله اعلم موطأ ما قدرتوا ما سمعوا به الموطأ ما عليك ذاته يا اخي الامام مالك كتاب كتبه احاديث صرفة على حسب ابواب الفقه احاديث اثار نعم في احاديث ضعيفة وفي اثار ضعيفة ولكن الخير اكمل والخير اعظم في موطأ الامام مالك وشرح موفق الامام مالك شروحه ومنها كتاب ابن عبدالبر الذي سماه بالتمهيد فيما موطأ مالك من المعاني والاسانيد التمهيد لابن عبد البر وهكذا، قال الهروي البقاء قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ قال ابن القيم والبقاء الذي يشير اليه القوم ان ما هو صفة العبد ومقامه؟ والاية تتحدث عن بقاء الرب ودوامه، لكن الاية نفسها عجيبة يا اخواننا من خلال مدارج السالكين وصلتوا الى قناعة، الهداية من ربنا، والهادي هو والله، المسألة دي رسوخ، الهداية من الله، قد وصلت لها قناعة، يا اخي في النزول في ما بتقابل بين عشية وضحاها يستقيم، ماذا نقول في هذا؟

الاية دي ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ انما جاءت على لسان سحرة فرعون، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ في سورة طه، قال ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ اما هو قال لهم يبقى ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ هو قال لهم كده ذكروا بقاء الله لانه هددهم باثناء ذواتهم، بمسحكم لما نتكلم بطغيان نقول له شنو؟ بمسحك من الوجود يقول لك تمسح شنو؟ والله انت نعل العراقي ما تمسحه خليه تمسح زول من الوجود فرعون ده قال لهم بمسحكم، كويس؟ هددهم بفناء ذواتهم، قاموا قالوا ليه؟ قالوا ليه هو ان الذي امنا به؟ ده معنى كلامه، وانتقلنا من العبود الى عبوديته ومن طلب رضاك الى طلب رضاه عذابه ونعيمه وكرامته ابقى لنا، عذابك يفنى وعذابه لا يفنى، ونعيمك ان اعطيتنا يفنى ونعيمه لا يفنى، قالوا ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ شوف الايات في محله كيف، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ بقاء عجيبة يا اخي.

وكتب الله لسحرة فرعون البقاء، وين كتب له البقاء؟ بان ذكر قصتهم في الكتاب الخالد الذي سيبقى الى يوم الدين يتلى في المنابر والمحاريب والخلوات والمساجد وفي صدور الحفظة ويتعبد به رب العباد الى يوم القيامة، بعدين انا مستغرب ليه؟ الايمان ده له دقايق، الناس دول وقفوا، تخيل ما جه وقفوا، في يوم يوم الزينة، وحشر الناس فيه قال ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ يتلموا، شوفوا ده قالوا بعزة فرعون، ديل منو؟ السحرة، حلفوا بعزته، فرعون عنده عزة؟ كويس ما عنده عزة، شوفوا الكلام ده كيف، وقالوا ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ ان كنا نحن شف، بس وقفوا، الرمو الحبال بقت ثعابين ثعابين للناس، ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ اتحف السحرة غير امنوا به، موسى فوت يلمع عصايته، عصايته برده تبقى ثعبان بايدي، عند الناس قارنه ده ثعبان وده شنو؟ ثعبان لكن عصاة موسى عمله شنو؟ لقفت الحبال والعصي بلا الثعابين وكبيرة ثعبان ضخم النزل الضار للولاء ثعبان ضخم موسى مسك الثعبان رجعت عصاية، وجوة العصاية دي الحبال والعصي، السحرة عرفوا ان الموضوع ده موضوع جد، ده ما شغل بتاع سحر ده شغل بتاع انبياء.

طوالي امنوا، قالوا ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ امنوا فيكم دقايق صح؟ شوف الكلام التقيل اللي قاله ده كيف؟ قال لو لاصلبنكم الاية سمعتوها والتهديد الشديد قالوا شنو؟ ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ حلفوا بانه؟ ها؟ والذي فطرنا، يا اخي ده ايمان، ما ايمان دا ايمان دجاج لكن راسخ دا الفرق نحنا مشكلتنا مؤمنين زمن لكن اقل حاجة يزعزعنا الزول دا في جذوع النخل وعملوا بالطعن وامنوا ودخلوا

الجنة ان شاء الله فبالتالي ابن القيم طيب المخلوق عموما لا بقاء له بذاته دي متفق عليها لن تبقى ذات من الذوات باقية، لان الله ذكر ثلاث كلات، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ واحد، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ اثنين ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ثلاثة، دي ما بيطلع منها زور، صح؟ صح ولا ما صح؟ اذا كل شيء من الذوات يفنى، حتى الرسل والانبياء ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وين البقاء؟

البقاء للقيم، عشان كذا بقول للناس اخواننا الاسلام جاي الفهم، انت ممكن بالمقاييس البشرية عمرك كم؟ انت بتكون قادر على العطاء حتى الستين، بعد الستين ما في عطاء في الدنيا في حاجة اسمها شنو؟ ما عاش، كويس، شوفوا الحسابات البشرية، تمانين سنة! انت تاني لو جيت سنين ما استنزق الدفتر، انت دارت تمشي لقدام، كان ركبوا لك طقم، ولا كان نظارة انت ثاني وقفتها تسعين دي يعني ممكن يكون عندك عطاء لكن برسانك ذا في عن قريبك تنضف في الدنيا دي كلها تجيب اذاعة لمضغ وتسمع الاخبار وتنطق بس مين في محلك ذا؟ لا تقدر تشيل فاتحة ثاني الا يجي يشيلها معك في محلك ده لكن انت ايش تقول ودوني الدروشات؟ اشيل فاتحة واحضر العقد في مسجد الشهيد مع انك طريقة تانية اكلمك دي تسعين تخيل! في منظومة القيم ليلة واحدة تساوي تلاتة وتمانين سنة، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ بقت الف كف ليلة واحدة، لو بقيت الف يوم الف شهر ليلة بالف في شهر الف شهر ثلاثة وثمانين سنة واربع شهور، انت ممكن تحضر ليلة واحدة بس في عمرك بتاعة قدر تقومها لله كأنك عبدت الله ثلاث وثمانين سنة.

القيم بتدي العمر زيادة، والعمر واقف في محله، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ دي في منظومة القيم، في غير منظومة القيم، انت تعبد تعبد؟ كان وصلت التلاتة وتمانين سنة؟ اخوانا لكل شيء اذا ما تم نقصان، يا اخي معقول! القلب شغال ثلاثة وثمانين سنة، الكلية شغالة ثلاثة وثمانين سنة، العيون دي شغالة تلاقي التمانين سنة، كويس؟ السنة ثلاثة وثمانين لابد يحصل، قل قل ضعف شيبة وضعف لكن ممكن تجيب تلاتة وتمانين سنة يعني لو زول مثلا مما بلغ الحلم حبر عشرة ليلة قدر بيواظب على العشر الاواخر دي بومة بانتظام، دب كوم عبد تمنمية وتلاتين سنة، دي حسابات غير الحسابات المادية البشرية، معناها القيم بتعطي العمر امتداد طيب هذا معنى كلام ابن القيم يقول شنو؟ اذا تعلقت ارادتك بالباقي وكان مطلوبك وكانت غايتك باقية دائما دام تعلقك ودام حبك ودام نعيمك بدوام من تعلقت به، ودا كلام منطقي، يا اخواننا برضو من الاشياء اللي حبوا نتعلمها في الحياة، انه الانسان ممكن يستغنى من الناس كلهم، ممكن يا اخواننا اديك مثال تلقى زول شافع يتيم ابوه مات خفي بطن امه مرق ما لقى ابوه برضو عاش نعم عاش بمعاناة لكن خير كويس؟

الذي اقام الحياة وجعل حوائج الناس بعضهم الى بعضهم هو الله، لذلك هو الحي القيوم الذي يقوم به كل شيء، وكل شيء قائم به، هو قائم على كل شيء، هو مستقل غني بذاته، والخلق جميعا لا يقومون الا به، ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ القيوم، عشان كده ممكن يعيش وينجح ممكن ولا ممكن؟ كرسولنا عليه الصلاة والسلام انجح بشر على وجه الارض مما الله خلق الدنيا مرض لقى ابوه ما فيش نهائي في الحياة قدامه توفي والده وهو في بطن امه وهي به حن، عليه الصلاة والسلام، ام لا تضع شيء ماتت، وجد ما وبقي، بقي شامخا، لانه بالله، اي حاجة بالله فبالتالي شوف هذا كلامه ابن القيم رحمه الله تعالى يقول شنو؟ شوف الكلام الجميل دا فليس المحبوب الذي يتلاشى ويضمحل ويفنى كالمحبوب الذي ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ محب باق لبقاء محبوبه، يشرف بشرفه، ويعظم خطره بحسب محبوبه، ويستغني بغناه، ويقوى بقوته، ويعز بعزه، ويعظم شأنه في النفوس بخدمته وارادته، ومحبته، الكلام ده قالت تالله لولا حجاب الغفلة ده قيل ده كلامه لطيف يا اخي قال تالله لولا حجاب الغفلة والعوائد والهوى والمخالفات لذاق القلب اعظم الالم بتعلقه بغير الحبيب الاول قال الكذب ده لو فيه حياة الذل لمجرد انه يتعلق قلبه بغير الله كان يتألم الم من الالم يموت لكن نحنا ما قعدنا نتألم بحجاب الغفلة والهوى والمخالفات يا سلام الهروي البقاء اسم لما بقي قائما بعد فناء الشواهد وسقوطها.

بعد فناء شنو؟ الشواهد شنو؟ وسقوطها، دال الكلام ده خلاصته كالاتي، اسمع الكلام ده العبد ده معنى الكلام، في طريق سيره الى الله معالم، تدلك على الله، منهم شنو؟ منا ومن الشيخ المربي، اللي بيربيك يوريك الله، ده ما شاهد، صح؟ منها ان عقلك يتفتح وندرك عظمة ربه سبحانه من خلال هذه الشواهد، دي كلها شو؟ شواهد، شواهد يعني شنو؟ شاهد على وحدانية الله، صف، النيل ذا؟ بتعرف الناس؟ يقول لك منظر جميل ويجنبوا الاولاد والبنات يتفرجوا في النيل ويلحسوا في الاسكريم وياكلوا البرجر انت عارفة انه يبدأ الاجراهم كده انتوا سألتوا نفسكم قلتوا انه يبدأ الاجراء من قلت للبت اللي معاك سبحان الله! قلت لها سبحان الله انت تقوم جري، النين ده تأملته الاجراه النور واجراؤه تين، الحفر مني انت؟ الحكومة؟ ها؟ حفروا منه الانجليز؟ النيل بتاعنا ده؟ حفروه الانجليز؟ خدامتين ده من متين زنب دي شواهد، اي شيء في الكون ده له في كل شيء، اية تدل على انه واحد، اي حاجة في الكون تدلك على الله، يا اخي ابن القيم ما مر عليك من زيت المعرفة، القبلة.

قال شنو؟ قال اي حاجة في الكون تدلك على الله، ولذلك المؤمنون لا يرون الكون الا بعض خلق الله، ولذلك يسمعون كل شيء كأنه منسجم مع بعضه، ولذلك قلنا صوت الحبل في البير مع البكرة الصوت بيعمل شنو؟ بيعمل صريف صح؟ هم بيسمعوها بيقول له شوف الذكرة بتقول الله الله هم سمعوه كده لانه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ شوف الكرامة الراقدة فابن القيم بيقول الشواهد التي تدلك على الله تفنى ويبقى الشيء الذي دللت عليه، الايمان ويبقى من دللت عليه وهو الله سبحانه وتعالى، لذلك يقول يقول المعالم توصل الى الشهود، الى شهود الوحدانية، يبقى الشهود، قائما، بعد فناء المعالم، مثلا، شيخ مسك الطريق الصحيح الشيخ مات صح ولا ما صح؟ الطريق ما؟ هذا معنى الكلام والله ده كلام كلام عميق ابن القيم ده عميق جدا قام جاب كلام وانا زدت عليه برضو يعني هو دا الكلام وانا قريته كدي قلت له بس لو دخل كلمة واحدة قال شنو؟

قال وحقيقة الامر ان الحق سبحانه، الحق هو الله، كويس؟ يفنيهم يفني عباده، الخلص، يفنيهم عما سواه، يفلون يخليهم ما يعرفوا الا هو، يفني الفناء معروف يا اخواننا، ها؟ هو اسمه الفناء، المحو والزوال، يزيل عن ايراداتهم، التعلق بكل مخلوق، قال شنو؟ شوف العبارة دي، قال الحق سبحانه يفنيهم عما سواه ويبقيهم للبقاء، ويبقيهم به، ازال كل تعلق باراداتهم فيما سواه، ففنيت ارادتهم في سواه لمنفنيوا عما سواه بقيت اراداتهم بقي بمن؟ به يفنيهم عما سواه ويبقيهم به وله ابقاهم فاست بقائهم به، وصاروا باقين له عبيدا، بالاضافة بتاعته دي باضافتك، لو عندك اضافة داخلها انا دخلتها له بس له، هو قال يبقيهم به، قلت يبقيهم به وله ابقاهم هو، ابقاهم فبقوا به سبحانه، وابقاهم لنفسه، اصطفاهم عبيدا له سبحانه وتعالى، يا سلام كلام ابن القيم دا كلام يا اخي راقي شديد، كلام عالي شديد قال وهو على ثلاث درجات بالمناسبة منزلة البقاء من اقل منازل المدارك، اربع صفحات بس، اربع صفحات، قال شنو؟

قال وعلى ثلاث درجات، بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما، وبقاء مشهود بعد سقوط الشهود وجودا، لا معدن وبقاء ما لم يزل حقا باس ما لم يكن محوا، ده كلام منو؟ كلام الهراوي، الكلام اللي قاله الهروي ده يظهر في اوله كأنه معقد، وسابسطه وسأنقل كلام العلامة ابن القيم رحمه تعالى في ذلك يقول الهروي بقاء المعلوم بعد سقوط علم عينا لا علما، يقول ابن القيم يظهر الكلام كانه متناقض، بقاء معلوم بعد العلم قال اصلا المعلوم صار معلوما بالعلم فكيف يسقط العلم ويبقى شنو؟ ويبقى المعلوم، ابن القيم

يقول يبقى المعلوم بعد سقوط العلم، قال هذا كانه طلاق، لا تصير ردة، قال ما العلم نفسه على درجات اخواننا كذا نركز على النقطة دي، في علم بس شيء وفي علمك بانك عالم بالشيء، جزء عارف عالم لكن ما عارف انه بشدة، تسأل تقول له تعال الموضوع ده يقول لك ما بعرفه، لما انت شنو؟

بيعرفه، بيعلم، ادراكك، للعلم علم، الذي يسقط هو ادراكك للعلم، ولكن العلم يبقى بمعنى شنو؟ يسقط ادعائك العلم والمعرفة، طيب دي نقطة، النقطة التانية شف الكلام الرفيع ده، شف يا اخوان ركزوا، بقاء المعلوم المعلوم هو الله، بعد سقوط العلم، يسقط العلم عينا لا علما، يسقط العلم شنو؟ عينا، لا علما، بمعنى يسقط ادعاء العلم، ده بيسقط، ادعاءه كالعلم شنو؟ يسقط، العلم بالله موجود ولو لم يكن علمك به موجود لما وصلت اصلا الى العلم به، لان السبيل الذي يوصلك اليه هو العلم ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ شهد الله انه لا اله الا هو وشهد على ذلك هو وشهدت الملائكة وشهد اولو العلم ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فبالتالي الذي هو احساسه بالعلم، ضرب مثال ابن القيم قال كيف تشم؟ ده انت تشم لك حاجة، تشم كيف؟

قال الشم يعتمد على ثلاثة اشياء، مشلول، يكون لو جاوبت حاجة ما عندها ريحة قال لك شمها، تقول ما شامي حاجة، مشموم، صح؟ وقوة مدركة، وقوة شنو؟ مدركة، بتشق، وحالة بتتولد بين المشموم وبين القوة المدركة للشم تسمى حالة الشم، حالة الشم هو الاحساس والمتعة بانك انت الشدة سميتك ايه تقول الله يا اخي الريح دي اشتريتها من وين انت؟ معناها استمتعتا صح؟ او جبت حول ولا قوة الا بالله شتي هاد الريحة زاتو كريهة وكذلك البصر في عين وكم ذكرناه كتير وجود عين لا تكفي للرؤية انت قال للعميانين ديل عيونهم مقلعات ومجدعات يعني العميان في فرق بين زول عينه وما فيش وعينه في العميان عينه في وممكن تلقاه تمد ايدك ما يشوفك عيونه مفتحة مفتح لكن ما بشوف ليه؟ الالة موجودة الة شنو؟ البصر لكن قوة الابصار ما موجودة، العميان فقط القوة الباسطة، صح؟ وكذلك اللمس حاجة بالماسورة، وقوة ادراك الة لمس، زايد الاحساس باللمس، ابن القيم قال القلب كذلك، مسرعين كذلك والبصر قال والقلب اذا استغرق في شهود المعلوم والمحبوب هو رب العزة والجلال غاب به عن شهود القوة التي بها يعلم.

وغاب عن حالة العلم ومثل هذا برجل ادرك بنفسه ما استلذ به، اعظم لذة حصلت له، فاستغرقته هذه اللذة فاسقط شعوره عما سواه من المتعة، بقى شايف نفسه ما في متعة احسن منه، هو شايف نفسه متعة احسن منه ما في، لكن في ناس متمتعين احسن منه، وهكذا هذا هو المراد من هذه النقطة، قوله كذلك

وبقاء مشهود بعد سقوط الشهود وجودا لا نعتن، الاشياء اللي وصلته لله فنيت، لكن وصوله لله باقي، شوف ابن القيم عبر عنه قال شنو؟ كلامه جميل يا اخي، قال علمك بالله وذكر له ومحبتك له ومعرفتك به، كلها مخلوقة، اركاننا الصحيح ولا ما صحيح؟ ها؟ يا اخوان نتفق معرفتك بالله، والعلوم التي اكتسبتها والدرس الجندى والفيه من المعارف والعلوم، دي كلها ذكرك ليه؟ عبادتك لو، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ طيب اذا كلها مخلوقة صح؟ يعني انا ممكن تروح مني معالم، اعرف الشيء لكن ما بالضروري اعرف تفاصيله، التفاصيل بتسقط ويبقى الجوهر، فابن القيم يقول شنو؟

علمك بالله وذكرك له، ومعرفتك مخلوقة، اما المعلوم، والمعبود والمعروف غير مخلوق، يفنى الشهود ويبقى المشهود، يفنى الشهود الاشياء دي كلها تفنى ويبقى شنو؟ المشهود ويبقى ما اراده الله ان يبقى، اخوانا المدة قيمة عظيمة في الاسلام بالمناسبة، ما ربنا قال ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قدم الموت على الحياة، عارف قدم الموت على الحياة ليه؟ لانه لولاه ما كانت للحياة قيمة، تخيل الناس المدفونين تحت حاسة مثلا يقول لك مقابر فاروق، بالعة كترة ناس، مساحة بس كم كم كيلو متر؟ في النهاية محدودة، مسودة، ديبالها امم، وزي ما قال ابو العتاهية ودفين بقايا دفين، ممكن يكون قبر واحد بقى قبر لمية نفر، ورب لحد صار لحدا مرارا، ضاحك من تزاحم الاضباط، مستغرب ذاته قال اصله كان نفر، قبر واحد، هي ده الجماعة القبر ده صحيحة، بعد مئتين سنة يجوا ناس يحفروا يلقوا ما في اي حاجة يحفروا برضو يدفنوا زول رب لحد صار لحدا مرارا تخيل الناس الميتين دول كلهم لو كانوا حارمين في الدنيا دي والله اعلم رغيف ما تلقاها تخيل يا اخي لكن الموت ده بيدي الحياة قيمة بالمناسبة بعدين لمن الحياة تبقى محددة العطاء فيها بيبقى اكبر ودي قيمة الموت دي قيمة الموت يعطي الحياة قيمة انت عارف انك انت بتموت معناها شنو؟

معناها تبذل صح وتعمل صح لانه فيما بعد الموت من الخطأ ان يقول الناس شيع فلان الى مثواه الاخير في قيامه ولا ما في قيامة؟ في قيامه طيب كيف مثواه اخيك؟ ما في مثوى اخيك المثوى الاخير بعد ما الناس يقفوا ليه؟ لانه الظالم اندفن والمظلوم اندفن لا بد اتلابه، كم ما تلابه ما في مثوى اخير، يقول لك شيع الى شنو؟ الى مثواه الاخير، كيف مثواه الاخير؟ فبالتالي الموت دا فيه بقاء لانس، فيه ناس الموت بيبقي يموت وتبقى حياتهم السرمدية الابدية في جنات النعيم، ده كلام الهروي الاخير قال شنو؟ وبقاء ما لم يزل حقا، لم يزل ربنا حقا، الكلام العبارة دي فعلا دار شريحة باسقاط ما لم يكن محوا في حاجتين يا اخوانا ما لم يزل يعني لم يزل باقيا دمه وفي الذي لم يكن المخلوق الذي لم يكن محوا الكلام ده جميل معناه كالاتي ان تسقط الذي لم يكن هو المخلوق، كيف تسقطه؟

تسقطه محوا، تمحو الماء عنده وجود دائم، تمحو من حياتك الماء دائم، وتبقي في حياتك الدائم ده معنى الكلام، خلاصة هذا الكلام، قال ابن القيم شنو؟ وحاصلوا ذلك، اخر ثلاث سطور في منزلة البقاء، ان يفنى من قلبك ارادة سوى الله، وشهوده والالتفات اليه ويبقى في قلبك ارادة الحق وحده، وشهوده والالتفات اليه بالكلية والاقبال بجمعيتك عليه، فحول ذلك يدندن العارفون، واليه السالكون وان وسعوا له العبارات وصرفوا اليه القول، كلام كل دائر حول ان تتعلق بالذي لم يزل باقيا بان تسقط الذي لم يكن بمحوه من حياتك ومن قلبك، ومن ارادتك وقال وحول هذا دندنة العارفون والى هذا شمر السالكون، انتهت بذلك منزلة البقاء من مدارج السالكين.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/113/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com